ماهي الجامعة؟

ماهي الجامعة؟

الاستاذ الدكتور رجب شانتورك

سؤالنا الكبير هو: «ما هي الجامعة؟»

كثيرا ما كان يسألني زملائي أن أتكلم في هذا الموضوع، وكان يساورني القلق، وربما الخوف من تناوله. إلا أنه من المثير حقا الحديث عن قضية شغلت بالي طوال حياتي. إنه سؤال كبير، والإجابة الوافية عنه تعتبر تحدّياً كبيراً. أنا لا أدعي أني سأعطي الإجابة النهائية والأخيرة لهذا السؤال، لكننا سنفكر معاً فيه. وسأشارككم أولاً أفكاري وخبراتي ورؤيتي المستقبليّة عما يجب أن تكون عليه الجامعة.

جامعة بحثيّة عالمية

من دواعي سروري أن أخاطبكم، طلاب جامعة ابن خلدون الأعزاء القادمين من كل أنحاء العالم لمتابعة دراساتهم العليا، كما يسعدني أن أخاطب زملائي المحترمين، أساتذة جامعة ابن خلدون القادمين من كل أنحاء العالم ليقدموا معارفهم الثمينة وخبرتهم التي اكتسبوها عبر السنين. لقد عملنا معاً على اجتذاب عقول متوقدة من كل العالم لإنتاج أفكار جديدة تواجه التحدّيات التي تواجهها الإنسانية. وقد أنشأنا هنا موطناً لهذه العقول لتتغذّى وتتابع نموّها. وأنا متأكّد أنّ معهد تحالف الحضارات سيزيد نماء وازدهارا في

ماهي الجامعة؟
هذه المحاضرة قدمت من قبل رئيس جامعة ابن خلدون الاستاذ الدكتور رجب شانتورك بتاريخ ١٥ شباط ٢٠١٧

ظل جامعة ابن خلدون، أول جامعة بحثيّة في تركيا متخصّصة في الحقوق، والعلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية.

إنّ هدف جامعتنا ليس في التركيز على التعليم الرسميّ فقط، وإنّما على الإنتاج البحثيّ أيضا. ولهذا السبب فإنّ ٢٥ بالمئة من طلّابنا هم من طلّاب المرحلة الجامعيّة، بينما سيكون ٧٥ بالمئة منهم من طلاب الدراسات العليا. وسيكون ٣٥ بالمئة منهم على الأقل من الطلاب غير الأتراك، الذين سيأتون من كلّ أنحاء العالم.

أحيانا يسألني الزملاء: «كيف يمكنك أن تكون واثقاً إلى هذه الدرجة من أنّ شيئا كهذا سيحدث؟ هل أنت مجنون؟ كيف لك أن تقوم بذلك؟ كيف يمكنك إحضار ٣٥ بالمئة من طلّابك من كلّ أنحاء العالم؟» أجيبهم أنّ ما حدث في معهد تحالف الحضارات هو الدليل على أنّنا يمكننا أن نقوم بذلك. وأنا أثق تماماً بزملائي الذين كانوا ومازالوا يساعدونني في هذا المشروع تحدُوهم رؤية عالمية مذ بدؤوا، كما أنّه لدي زملاء شبّان مفعمون بالنشاط والحيويّة والحماس في أعمالهم التي يقومون بها.

والناس يسألونني أيضا: «ماذا تفعل لإحضار الطلاب من أجزاء مختلفة من العالم؟» وأجيب: «لا شيء، فعملنا يروّج نفسه.» وطلابنا في معهد تحالف الحضارات سعيدون بالتعليم الذي يتلقونه، فهم سفراؤنا إلى العالم. ولو دفعت المال لأشخاص لا على التعيين لترويج جهدك عالميّاً، فإنّك لا يمكنك أن تقوم بأفضل ممّا يحصل في معهد تحالف الحضارات، والآن في جامعة ابن خلدون، حيث لدينا سفراء أمريكيّون وروس وفرنسيّون وعرب وألمان ويابانيّون، سفراء من أكثر من ٤٠ دولة يروّجون لمعهدنا، إنها طريقة إعلان قويّة. وستكون جامعة ابن خلدون النسخة الموسَّعة لما

نفعله هنا في معهد تحالف الحضارات، وهذه فرصة عظيمة لنا لتوسيع ما كان يجري على نطاق تجربة صغيرة في معهد تحالف الحضارات.

جامعة الفكر والأفكار

إنّ الجامعة البحثية هي الشكل الحقيقي للجامعة، لأنّ هناك فرقاً بين الكليّة والجامعة، فالكليّة تعلّم الطلاب في المرحلة الجامعيّة، والجامعة تعلمهم كيف يكرّسون أنفسهم للبحث وإنتاج أفكار جديدة. هذا ما تعنيه الجامعة، مكان يتعلم فيه الناس من خلال التجربة كيف يفكرون، وما هو التفكير، وكيف ينتجون أفكارا عالميّة جديدة.

والتفكير يميّز الإنسان عن سائر المخلوقات، وكلّنا لدينا القدرة على التفكير المنظّم، وهذا في الواقع أعظم ما نملك، لكنّنا يجب أن نتعلّم كيف نستخدمه بشكل صحيح. ولسوء الحظّ فإنّنا غالبا ما نعتقد أن التفكير أمر سهل؛ إلا أنّ التماسك في التفكير المنتَظم يتطلّب تعليما – التفكير في التفكير – والجامعة هي مؤسسة هدفها هذه العملية الجوهرية.

أحيانا أسأل طلابي، «ماهي الفكرة؟» ويظنون أن الإجابة بسيطة، وأن كل شخص يعرف ما هي الفكرة، ولكن حين يحاولون الإجابة يواجهون صعوبة بالغة في صياغة الجواب، فأعطيهم واجبا: «من فضلكم ائتوني بفكرة، فكرة جديدة أنتجتموها أنتم، وهذا واجبكم للأسبوع القادم،» ومعظمهم لا يمكنهم أن يأتوا بفكرة واحدة، فكرة جديدة جيدة. ومن هنا يدركون أن الأمر أكثر جدية مما يتصورون، وأنه يحتاج لعمل جاد. إذا كنت تريد إنتاج فكرة جيدة متماسكة، فعليك أن تعرف ما هي الفكرة، وكيف يمكنك أن تطور فكرة.

هذه الأسس لا تجعل من الجامعة مكانا للدّراسة فقط، وإنّما مكانا للارتقاء بالإنسان نحو الكمال.

طريقة تهيئة الإنسان المثالي

إن لكل حضارة مفهوما يختلف عن الحضارة الأخرى فيما يتعلق بمفهوم الشخص المثالي. فهناك مفهوم الإنسان الكامل في الحضارة الإسلامية، والصينية لها مفهوم آخر، وكذلك الهندية وغيرها. وعلى ذلك فإن الحضارات شَيّدت مؤسسات خاصة للتعليم، بما فيها الجامعة، لتهيئة الإنسان المثالي تهيئة تتفق مع تلك المفاهيم. وبمعالجتنا سؤال جامعتنا المثالية، لا بد أن نحقق في طبيعة إنساننا المثالي. والواقع أن كل حضارة ودين ومجتمع يمكنه أن يعطي إجابة مختلفة.

ومن المهم أن نأخذ بعين الاعتبار أن النمط المثالي المتخيَّل يمكن أن يتغيّر عبر الزمن أيضا. ويعكس تاريخ الحضارة الغربية ذلك، فالإنسان المثالي في الحضارة الإغريقية القديمة لم يكن نفسه في فترة القرون الوسطى المسيحية، كما أن المفهوم تغيّر مرّة أخرى في فترة الحداثة والعلمانيّة، وتغيّر مرة ثانية بدخول الغرب عصر ما بعد الحداثة. أمّا المفهوم الإسلاميّ للإنسان المثاليّ (الكامل) فلم يتغيّر في جوهره حتى فترة الاحتلال الغربيّ، والذي أدخلنا في مرحلة من التشوّش الذي استمرّ حتى اليوم. هذا الفهم مهمّ جدّا في بحثنا.

إن ما يجعل الجامعة جامعة «إسلامية» في رأيي يرتبط ارتباطا وثيقا بهذه النقطة. فإذا كانت الجامعة تهدف إلى تهيئة إنسان مثالي بمعيار الحضارة الإسلامية – الإنسان الكامل– فهي جامعة إسلامية. وإذا كانت الجامعة تعلم الإنسان كيف يفكر كمسلم وكيف ينشئ أفكارا تتفق مع تراث المعرفة الإسلامي فهي جامعة إسلامية.

وكذلك الأمر، فإن الجامعة التي تهدف إلى تهيئة إنسان مثالي بمعيار الحضارة الصينية فهي جامعة صينية. ويمكننا قياس ذلك على الجامعة الروسية وكذلك

الأمريكية. فتصوُّر الصفات البشرية المرغوبة في نهاية المطاف التعليمي أصبح واضحا في أمريكا وفرنسا وألمانيا، إلا أنّه للأسف ليس واضحا في تركيا والعالم الإسلامي. فمن هو الشخص المثالي الذي يطمح نظامنا التعليمي لتهيئته؟ إن الشخص المثالي بالنسبة لجامعة البوسفور مختلف عن جامعة غلاطة سراي أو إسطنبول، وهلمّ جرّا. وبعض الجامعات التركية تتبنّى النظام الفرنسي للإنسان المثالي، وبعضها يتبنى المثال الأمريكي، وهناك بعض الجامعات ليس لديها حتى فكرة واضحة عن الإنسان المثالي وكيف يمكن تهيئته. فهم يريدون أن يخرجوا طلابا ويمنحوهم الشهادة ويرسلوهم إلى العالم.

الاتّكالية الفكرية للعالم الإسلامي على الغرب

لقد كانت حالة المؤسّسات التعليمية دائما محطّ اهتمامي في تركيا خلال المرحلة الثانويّة والجامعية، وقد حاولت أن أفهم سبب عدم قيام هذه المؤسسات بتزويدنا بالتعليم الجيد؛ إلى أن جذب انتباهي كتاب في علم الاجتماع التعليمي لتوم بوتومور، وهو «علم الاجتماع: دليل إلى المشكلات والمراجع». لقد ذكر أن المؤسسات التعليمية غير الأوروبية تفتقر إلى الهدف الأكاديمي: فهدفهم هو عصرنة وتغريب شعوب بلدانهم. ووجدت أن ذنب مؤسساتنا التعليمية هو هذا، وأنها بالفعل أنشئت لعصرنة وتغريب الشباب أكثر من تثقيفهم أكاديميا. وقد حققوا مبتغاهم، فعلى الرغم من أنهم فشلوا أكاديميا، إلا أنهم نجحوا في تغيير مفاهيم الطلاب عن أنفسهم وعن مجتمعاتهم ومعتقداتهم. فتسافر فتاة مثلا من الأناضول لتدرس في إسطنبول لأربع سنوات وتعود فتاة عصرية متغربة.

لقد كانت لدي فرصة لإثبات أفكار بوتومور خلال رحلة إلى غانا قمت بها مع مجموعة من الأساتذة. ذهبنا لزيارة أفضل جامعة في غانا، حيث قدم لنا مسؤول ذو

منصب رفيع كيفية تولي الغانيين أمر الجامعة عندما غادر البريطانيون. فسألته: سيدي، هل قمتم بإجراء أي تغيير في فلسفة التعليم أو في منهجية التعليم أو في المنهاج الدراسي للجامعة بعد أن توليتم أمورها؟» فأجاب بفخر: « لا، أبدا، لم نغير أي شيء، لقد حافظنا على النظام نفسه كما كان.» فهم قاموا أساسا بمتابعة عمل البريطانيين، ولكن مجانا! فلم تكن الحكومة البريطانية بحاجة لأن ترسل أساتذة بعد ذلك، ولا أن تدفع لهم رواتب، مادام الغانيون تطوعوا ليحتلوا ويغربوا أنفسهم.

عندما أذهب إلى جامعات في تركيا وفي أجزاء أخرى من العالم غير الغربي، أسأل الطلاب (في قسم العلوم السياسية مثلا): «هل هناك نظرية لشخص تركي أو عربي أو مسلم في هذه الكتب التي بين أيديكم؟» فيجيبون «لا.» وعلم النفس يدرّس بنفس الطريقة، وكذلك علم الاجتماع والحقوق والاقتصاد. فالجامعات تروج بين شباب الدول غير الغربية أفكارا ونظريات غربية معينة. ولغاية هذا اليوم لم أصادف في قسم علم النفس مثلا نظرية لعالم مسلم تدرس وتقدم للطلاب في الجامعة.

قابلت قبل أيام فتاة تحضر درجة الدكتوراه في التربية. فسألتها: «هل تعلمين أي عالم مسلم في هذا المجال؟» فأجابت «لا.» فتاة متدينة محجبة تقوم بتحضير درجة الدكتوراه في إسطنبول، وليس لديها أدنى فكرة عن نظريات في التربية لعلماء مسلمين، ناهيك عن العلماء الأتراك. فسألتها: «هل تعرفين الزرنوجي؟» فقالت: «من هو.» فسألت: «هل تعرفين الغزالي؟» فقالت: «نعم، نعم، هو عالم مشهور، كل شخص يعرفه،» لكنها لم تقرأ أي كتاب من كتب الغزالي. وبدلا من ذلك فقد تعلّمت كل النظريات المستوردة من الغرب. إنها فتاة تركية مسلمة، إلا أنها لم تحظ بمعرفة أي من علماء التربية المسلمين أو الأتراك، كما لو أنه ليس هناك

علماء تربية مسلمين أو أتراك.

وحصيلة هذه العملية هي ما أدعوه «الاتّكالية الفكريّة المستدامة»، وهذا هو هدف الجامعات في غير العالم الغربي، فليس الهدف هو تنشئة علماء عظماء، بل الهدف هو جعل هذه البلدان معتمدة فكريا وأكاديميا على الغرب. وهذا تماما كحالنا في الاعتماد التقني عليهم، حيث نستورد المنتجات التقنية من الغرب - الطائرات والهواتف والأسلحة وغيرها- بدلا من إنتاجها بأنفسنا. فنحن متكلين فكريا، وتعلمنا أننا لا يمكننا إنتاج أفكار جديدة، وأفضل ما نفعله هو أن نصبح طلابا جيدين للأكاديمية الغربية وأن نروج الأفكار الغربية في بلادنا. وبذلك فإن جامعاتنا لا تقوم بوظيفتها كجامعات حقيقية إذا استمر هذا النهج.

لقد ظهرت الجامعة أول مرة كمؤسسة في العالم الإسلامي. أول جامعة في العالم أسستها امرأة مغربية اسمها فاطمة الفهرية عام ٨٥٩ هي جامعة القرويين. والجامعة الثانية كانت الأزهر عام ٩٧٥، تلتها النظامية خلال القرن الحادي عشر في بغداد. ولم تتبنّ البلاد الأوروبية فكرة الجامعة كمؤسسة إلا بعد ظهورها في العالم الإسلامي وانتشارها من مغربه إلى مشرقه، والنتيجة أن هذا التراث التعليمي نشأ بشكل مختلف عن نشأته في الغرب.

التعليم الإسلامي الفردي وشبكة الإسناد

دعونا نتحدث قليلا عن جامعاتنا الأولى، كيف أنشئت، وكيف كانت آلية عملها؟ لقد كانت جامعة القرويين والأزهر والنظامية مختلفة عن جامعات اليوم.

وأحد الفروق المهمة هي علاقة الأستاذ والطالب الشخصية، فكان التعامل مع كل طالب بشكل فردي، وكان المنهاج يُعدّل لكل طالب. لم يكن هناك إنتاج تعليمي بالجملة، وفي نهاية برنامج الطالب التعليمي،

تسلم له شهادة «إجازة» يصدرها معلمه أو مرشده وليست المؤسسة. فلو أنك درست في مدرسة السليمانية على سبيل المثال، فإن معلمك هو من يصدر إجازتك مصادقاً على إكمالك لدراستك وليس مدير المدرسة.

لقد ابتكر المسلمون، وخاصة علماء الحديث، نظام الإجازة للحفاظ على المعرفة الإسلامية الأصيلة، وكان لها نظام مثير للاهتمام: فقد أُدرِجَت كل سلسلة المعلّمين إلى أن وصلت للنبي محمد، فجبريل، فالله. وسميت هذه السلسلة بالإسناد، والحضارة الإسلامية هي حقا «حضارة الإسناد.» وهذا النظام لا يوجد في أي حضارة أخرى؛ فلم تكن هناك في الحضارات الأخرى إجازات على الإطلاق، ناهيك عن سلسلة إسناد للعلم الذي يتداولونه. وقد كانت رسالتي في الدكتوراه (والتي نشرتها مطبعة جامعة ستانفورد)، تحت عنوان «البنية الاجتماعية للرواية: تحليل شبكة إسناد الحديث ٦١٠-١٥٠٥»، وقد كانت قرابة ألف سنة من الإسناد التي أبدعها نظام التعليم هذا، وهي أطول سلسلة علمية مسجّلة في العالم. وقد درست نصف هذه السلسلة، إلا أن الإسناد مستمر حتى يومنا هذا. دعيت السنة الماضية إلى أكسفورد وعرضت تقديما بعنوان «السلسلة غير المنقطعة للذاكرة الاجتماعية: سلسلة الإسناد الحديثي ٦١٠-٢٠١٦."

إخضاع العلم

ما الذي حدث عندما انتقل هذا النظام إلى أوروبا؟ احتكرت الكنيسة فترة العصور الوسطى انتقال العلم، وكان من بين ما اعتمدته من طرق لإخضاع العلماء أن قامت بتجريد العلماء من سلطة إصدار الإجازات ومنحها لطلابهم. وقد أصبحت القوة بيد الدولة العلمانية في الوقت المعاصر لإخضاع العلماء، وسلبهم سلطة منح الإجازات والشهادات.

لقد قاوم العالم الفرد في الحضارة الإسلامية سياسة

إخضاع نظام التعليم لسلطة الدولة، وبقي التعليم مستقلاً وقويّا، حيث إنّ إجازة يصدرها العالم تخوّل المتلقي أن يصبح قاضيا أو أستاذا أو مفتيا أو مدرسا. فهذا العالِم يجمع بين سلطة مجلس التعليم العالي ووزارة العدل ووزارة التعليم ووزارة الشؤون الدينية، ويجب أن يظل الأمر مفهوما هكذا. فليس للإسلام سلطة دينية مركزية كتلك التي في الكنيسة، ولذا فإن كل عالم يقوم مقام مؤسسة مستقلة. وبذلك نرى أن الجامعة كانت ممثلة بالعلماء عبر التاريخ الإسلامي، وهؤلاء العلماء هم من يقررون قبول أو رفض الطلاب وهم من يمنحون الإجازات. بعض العلماء كانوا ضمن عمل مؤسساتي، لكنهم كانوا أحرارا في مغادرة المكان ومتابعة عملهم بشكل مستقل متى أرادوا ذلك.

إلا أن العالم الإسلامي شهد في بعض العلوم توحيد مناهج الكليات والجامعات خلال القرن الحادي عشر، وهي المناهج التي مازالت تُتبع حتى يومنا هذا، فعلوم الآلة في اللغة العربية، والمنطق والبلاغة مازالت نفسها تدرس عبر العالم الإسلامي من الهند إلى البلقان. والطلاب في تركيا يدرسون كتب الفقه مثل الاختيار والقدوري والهداية، وهي نفس الكتب التي تدرس في الهند وباكستان وأفغانستان. ففي الوقت نفسه الذي تحاول فيه أوروبا توحيد مناهج التعليم عبر عملية بولونيا Bologna Process، علينا أن نتذكر أن ما حققه العالم الإسلامي قبل ألف سنة تقريبا مازال حيّا إلى يومنا هذا.

تحليل تأثيرات التعليم الغربي في غير العالم الغربي

إن هذا التعليم الموحّد تعرض للتمزق مع مجيء الجامعات المعاصرة، ولا بد من مزيد من التمحيص في نتائج التحول من نظام المدرسة إلى نظام الجامعات المعاصرة في العالم الإسلامي. ما الذي حدث؟ وما هو الضرر الحاصل؟ هل هناك فوائد تذكر من هجر نظامنا التراثي في التعليم لصالح النظام الجديد؟

إنه لمن دواعي العجب أن هذا النظام الجامعي الذي استوردناه من الغرب هو النسخة الفاسدة من النظام الجميل الذي استعاره الغرب من المسلمين. ففي النظام الجديد تقوم المؤسسة بإصدار الإجازات بدلا من الأساتذة وهذه الإجازات لا إسناد فيها، ولم يعد التعليم تعليم فرد لفرد، وإنما أساسه الإنتاج بالجملة.

وعلى المستوى الوجودي أيضا نرى أن النظرة التي تتسم بها الجامعات المعاصرة مختلفة أساسا عن النظرة الإسلامية. فالنظرة الإسلامية هي نظرة متعددة متداخلة تقبل بالوجود المتعدد المتداخل «مراتب الوجود» وبتعدد مستويات المعرفة «مراتب العلوم» وبتعدد مستويات المنهجية «مراتب الأصول» وكذلك المعنى «مراتب المعاني» والحقيقة «مراتب الحقائق». وما أسميه «الحضارة المنفتحة» يتسم بهذه النظرة التعددية المتداخلة. بينما تتسم الجامعات المعاصرة بنظرة وضعية أحاديّة للوجود والمعرفة والمنهجية.

والضحية الأكبر في عملية التحول هذه هي دراسة العلوم الإسلامية. إذ إن نزولنا بمستوى الدراسات الإسلامية إلى أن أصبحت مدارس لاهوت مختلفة هي نتيجة التفكير العلماني الذي يهدف إلى فصل الدين عن العلم، حتى يُحفَظ العلم من لوثة الدين. فليس هناك في نظام المدرسة كلية منفصلة للشريعة، لماذا؟ لأن كلّ شخص يتعلم الدين والعلوم الأخرى بطريقة متكاملة. والنظام الإسلامي التراثي للمدرسة لا يتوافق مع كليات اللاهوت، بل مع الجامعة المثالية بشكل عام، حيث يمكن للقضاة والمهندسين والأطباء أن يتعلموا معا في نفس المؤسسة.

وأذكر خاصيّة أخرى للتعليم الإسلاميّ ضاعت في عملية الانتقال إلى الجامعة المعاصرة وهي التزكية، والتي تشكل مع التعليم ركنا أساسيا في منهج التعليم. وهذا مذكور في القرآن الكريم، إذ إن الرسول استخدم الطريقتين، التعليم والتزكية، «ويعلمهم الكتاب والحكمة

ويزكيهم». فالتعليم كان لتعليم الكتاب، والحكمة لتعليم الفلسفة والعلوم الطبيعية وأي علم سوى القرآن، والتزكية هي التربية الأخلاقية والروحية. إن الجامعة المعاصرة بنيت لتنشئ محترفين للعمل في المؤسسات الحكومية والصناعية، وليس هناك أي تربية أخلاقية. أما نظام التعليم الإسلامي التراثي الذي أنشئ لتربية أناس صالحين، فقد كان نظاما جامعا. وأعتقد أن الإنسانية ستعاني كثيرا إذا ما استمرت في فصل التعليم الأكاديمي عن التربية الأخلاقية.

رؤيتنا عن الجامعة في يومنا هذا

كيف نتصور التعليم في يومنا هذا؟

علينا الابتعاد عن التعليم الإجمالي وإعادة تقديم التعليم القائم على علاقة الفرد بمعلمه. فالجامعة ليست مصنعا، والإنسان مخلوق فريد، وليس لباسا أو رجلا آليا.

وليس على جامعاتنا أن تخلد الثنائية الخاطئة التي تم إنتاجها في عصور فكر الحداثة وما بعد الحداثة، كالثنائيات المزعومة بين الدين والعلم، والتراث والحداثة، والوحي والعقل، والشرق والغرب، وغيرها. فهذه ثنائيات خاطئة تخطاها تراث المعرفة الإسلامي بدمجها وعدم اعتبارها متناقضات، فبإمكاننا أن نكون متدينين وعلماء جيدين، وأن نستمد من تراثنا ومعاصرينا، وأن نستخدم العقل والوحي في نفس الوقت.

لا بد أن نكون متكاملين في منهجنا، وذلك بالجمع بين التعليم والتزكية، وبين التعليم الأكاديمي والتربية الأخلاقية، وبين التعليم المبني على معدل الذكاء العقلي والوجداني. فالتربية الوجدانية مع التعليم الفكري ينتج إنسانا سليما. عندما تذهب لمقابلة عمل فإنهم لا يسألونك سؤالا في الرياضيات، بل يسألونك عن

أسلوب تعاملك مع الآخرين، وهل أنت لطيف، وكيف تتصرف في حالة التوتر. وهذا ما يسمى بالآداب في تراثنا. ويجب أن يتماشى الأدب مع العلم، والأخلاق مع التعليم الأكاديمي. فالتركيز على الإنجاز الأكاديمي على حساب التربية الأخلاقية سيؤدي لظهور أناس غير متوازنين نفسيا في العالم.

كما أنه علينا أن نعلّم كيف نفكر وننتج الأفكار بدلا من مجرد نقل وترويج الأفكار الغربية. وبدلا من أن نكون مؤسسات دائمة الاعتماد الفكري على الآخرين، فإن جامعاتنا يجب أن تكون مؤسسات ننال بها الاستقلالية الفكرية. فالعالم الإسلامي خلال فترة الحداثة وتبنّي الأفكار الغربية انفضّ عن تراثه. غير أننا لا يمكننا التفكير بشكل صحيح دون ذاكرة، والواقع أننا مصابون بالشّلل. لقد كتب إسحاق نيوتن مرة «إذا كنتُ قد رأيت لمدى بعيد، فهذا لأنني أقف على أكتاف العظماء.» واليوم يحتاج الطلاب خارج العالم الغربي أن يقدّروا تراث الأجيال السابقة وأن يواصلوا المسيرة التي بدؤوها بدلا من الزهد فيها. إن كلا التيارين في العالم الإسلامي، الحداثي والسلفي المزعوم، يخبرنا أن العصور المظلمة تمتد لأكثر من ألف سنة، بين العصر الذهبي للنبي محمد، صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام، وبين عصر النهضة. وهذا المنهج خاطئ وعار عن الصحة. علينا أن نقبل ونقدر استمرارية الإنتاج الفكري للحضارة الإسلامية عن طريق الإسناد، وهي عملية مستمرة حتى يومنا هذا. نعم، كانت هناك فترات من التأزم، لكنني أؤمن باستمرارية الحضارة والمعرفة والتراث الإسلامي، وأرى أن هدفي هو إكمال ما بدأته وسارت فيه هذه الحضارة، وهذه هي الطريقة لصنع منهج أصيل. يعتقد بعض الطلاب والأكاديميين أنهم سيخرجون بفكرة أصيلة عن طريق رفض الماضي والتنصل منه؛ لكن هذا خطأ، والصواب هو أن تجد لنفسك مكانا في سلسلة الأشخاص الذين سبقوك، فقد كانوا يعملون على نفس القضايا، فخذ الأساس

الذي وضعوه وابنِ فوقه.

نحن الآن في عصر الحضارة المنفتحة كما أرى، حيث إن الثقافات والناس يمتزجون في تعدد اجتماعي متزايد. وهذه الغرفة التي أتحدث منها الآن هي برهان جيد على الحضارة المنفتحة، ومثل هذه المجموعة الموجودة هنا لم تكن أمرا يصدقه العقل قبل قرن من الزمن، لكنها الآن أمر شائع سواء في حرم جامعة ابن خلدون أو في كولومبيا وجورج تاون. فالطلاب يأتون من كل أنحاء العالم ليدرسوا معا، وعلينا أن نعيد تصميم التعليم الأحادي المعتمد على المركزية الأوروبية ليضم هذا التنوع في سعي لتحقيق الازدهار لكل الإنسانية في جامعة الحضارة المنفتحة. ولا شك في أن منع هذا التعدد أو محاولة السيطرة عليه سيسبب صراعات مستمرة.

ويجب في هذه الفترة الجديدة من تاريخ الإنسانية أن نسترد مفهوم الجامعة ونضعه في مكانه الصحيح كمؤسسة لإنتاج الأفكار العالمية، وهو تماما ما تعنيه كلمة «كلية»، وهي الكلمة التراثية في العربية والتركية لكلمة جامعة، وهي تنص على الرسالة العالمية لهذه المؤسسة.